

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . القنيطرة  
مسلك الدراسات الإسلامية  
الفصل الأول / وحدة: تاريخ التشريع الإسلامي  
إعداد الأستاذ: ادريس أبوزيد  
الدورة الخريفية: 2021/2020م

المحاضرة الثامنة

الطور الرابع: طور التدوين وظهور المذاهب الفقهية

المذاهب المندثرة

سياق النشأة:

تنامى الاجتهاد في عصر التابعين، وتابعي التابعين، فظهر أئمة الفتوى في هذا العصر، ونضجت الآراء التي نقلت عن الصحابة، وتكونت مدارس متعددة على هذه الاجتهادات، المختلفة، وتباينت هذه المدارس لا في الفروع فقط ولكن أيضاً في نظرتها إلى الأصول التي تؤخذ منها الأحكام.

هذا التباين ليس ناشئاً فقط عن تفاوت أصحابها في فهم القرآن والاطلاع على السنة، فهم متفاوتون فعلاً في ذلك، فقد يطلع بعضهم على ما لم يطلع عليه غيره، ويصح عنده ما لم يثبت عند غيره. ولا بسبب اختلافهم في تفسير النصوص من الناحية اللغوية فحسب. فقد اختلفوا في ذلك ولكن الاختلاف قد ينشأ بسبب تقدير بعضهم لأهمية دليل على حساب آخر، مما أوجد اختلافاً في ترتيب الأدلة من إمام إلى آخر، فيحكم هذا برجحان دليل يحكم غيره بكونه مرجوحاً، فعلى سبيل المثال أبو حنيفة النعمان يمنع العمل بخبر الآحاد في قضايا عموم البلوى، وهي القضايا التي

يحتاج إليها كل الناس حاجة ماسة تقتضي السؤال عنها لكثرة تكررها، وقضاء العادة بنقل الخبر فيها متواتراً وخالفه الجمهور فسميت مدرسة أبي حنيفة بمدرسة الرأي.

وعلى العكس من ذلك فإن الإمام أحمد يفضل الحديث الضعيف على الرأي، ويجب أن نشير إلى أن هذا الضعف يجب ألا يصل درجة البطلان أو النكارة، فهذا لا يحتج به الإمام أحمد، مما جعل مدرسته تسمى مدرسة أهل الحديث..

والإمامان مالك والشافعي أقرب إلى مدرسة أهل الحديث مع اختلاف أيضاً بين مالك وغيره في تقديم عمل أهل المدينة على غيره في القضايا التي تدعو الحاجة إلى انتشارها بين الناس. وكذلك فإن مذهبه عرف عنه الأخذ بالمصالح المرسلة، وسد الذرائع وإعطاء الوسائل في كثير من الحالات حكم المقاصد.

فكان من نتيجة الاختلاف والتباين في المآخذ والأصول تكون المذاهب الفقهية وظهور علم أصول الفقه، وغايته وضع ضوابط من شأنها أن توصل لكيفية التعامل مع الكتاب والسنة، في استنباط الأحكام واستخراج المسائل، فاهتم بدلالات الألفاظ الشرعية وتعريف الأحكام والمفاهيم وتعريف الأدلة الأصلية والفرعية، والتعادل والتراجيح.

## تعريف المذهب

### المذهب في لغة العرب:

الطريق الذي يُذهب فيه أو يُذهب إليه، أي يُسار فيه ويُمر منه، ويطلق أيضاً على الشيء الذي يذهب إليه الإنسان، سواء أكان حسياً أو معنوياً. وجاء في لسان العرب أن المذهب، المتوضأ؛ لأنه يذهب إليه، واستعمل في المعتقد الذي يذهب إليه. يقال ذهب فلان مذهب فلان؛ قصد قصده وطريقته، ويقولون ذهب فلان مذهبا حسنا.

## والمذهب في الاصطلاح:

الطريقة أو المنهج الذي سلكه فرد أو جماعة في الفهم أو السلوك. واستعمل المذهب في المجال الفقهي بمعنى ما يصار إليه من الأحكام.<sup>1</sup>

وعرفه الحطاب بقوله: " وَالْمَذْهَبُ لُغَةً الطَّرِيقُ، وَمَكَانُ الدَّهَابِ، ثُمَّ صَارَ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِمَامٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْاجْتِهَادِيَّةِ، وَيُطْلَقُ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَيْمَّةِ الْمَذَاهِبِ عَلَى مَا بِهِ الْفَتْوَى مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الشَّيْءِ عَلَى جُزْئِهِ الْأَهَمُّ"<sup>2</sup>

### 1. المذاهب المندثرة:

لا تقتصر المذاهب الفقهية في الإسلام السني على المذاهب الأربعة المعروفة، وهي المالكي والحنبلي والشافعي والحنفي. فهناك مذاهب كثيرة منقرضة، من أبرزها المذهب الظاهري، ومذهب سفيان الثوري، ومذهب الليث بن سعد، ومذهب الأوزاعي.

وقد أجمعت جل المذاهب الإسلامية، سنية وشيعية، على أن الأصل في التشريع في الإسلام هو القرآن والسنة، لكنها اختلفت في مصادر التشريع الفرعية كالإجماع والقياس والرأي، وغيرها. وهو ما تسبب في ظهور مذاهب كثيرة.

وذكرت كتب التاريخ الإسلامي أن المذاهب الفقهية ناهزت 50 في القرن الثاني للهجرة بعضها استطاع البقاء، واندثر البعض الآخر بعدما لم يجد طريقاً للانتشار بين زحمة المذاهب والاتجاهات الفقهية.

وكان المذهب الظاهري، ومذهب سفيان الثوري، ومذهب الليث بن سعد، ومذهب الأوزاعي في مقدمة المذاهب المنقرضة.

1 - التوقيف على مهمات التعاريف، للحافظ المناوي، باب الميم، فصل الدال، ص: 301

2 - مواهب الجليل في شرح مختصر خليل.

## المذهب الظاهري في العراق

ظهر في القرن الثالث الهجري في العراق. وسمي بذلك نسبة إلى مؤسسه: داوود بن علي الأصفهاني(ت270هـ)، ولكن مذهبه سرعان ما اندثر وتلاشى بعد وفاته، بسبب قلة أتباعه، ونفور الناس منه لتغيبه الاجتهاد، وعدم مسايرة الحوادث والنوازل،

ثم جاء الفقيه الأندلسي ابن حزم (456هـ) في القرن الخامس الهجري. وأعاد نشر المذهب الظاهري والتعريف به .

يعتمد المذهب الظاهري على القرآن، والسنة، والاستصحاب (أي استصحاب العدم الأصلي عند عدم الدليل الشرعي) وإنكار القياس، وعدم إعمال العقل في الأحكام الشرعية؛ فالأصل عندهم هو الأخذ بظواهر النصوص الشرعية من القرآن والسنة دون تعليلها، وفي غياب النص يقوم على فكرة الاستصحاب.

عجل عدم تبني المذهب الظاهري من أحد السلاطين وعدم اهتمام العلماء به، بسبب تشدد فقهاءه، باندثاره خاصة أن ابن حزم ألف كتاب "الإبطال" الذي هاجم فيه مصادر التشريع المعتمدة عند المذاهب الأخرى كالقياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل.

وترجع بعض الدراسات تراجع المذهب الظاهري أيضا إلى حادثة إحراق مؤلفات ابن حزم من قبل حاكم إشبيلية المعتضد بن عباد، بسبب ولاء ابن حزم لحاكم قرطبة.

## مذهب الثوري في الكوفة

سمي بمذهب الثوري نسبة إلى الإمام سفيان بن سعيد الثوري(ت161هـ)، من تابعي التابعين، الذي اشتهر في الكوفة (العراق)، أسس الثوري مذهبا خاصا به جمع فيه بين أهل الرأي وأهل الحديث، وهو أقرب ما يكون إلى المذهب الحنفي، وقامت أسسه على استنباط الأحكام من القرآن والسنة والاجتهاد، والإفتاء بما هو أيسر على الناس.

وثبت عن الثوري ميوله نحو التسهيل ونبذ التشدد ما جعل أتباعه في تزايد بالعراق إلى غاية القرن الرابع الهجري قبل أن يندثر بسبب عدم تبني مذهبه من أية سلطة سياسية.

### مذهب الليث بن سعد في مصر

ينسب هذا المذهب إلى مؤسسه الليث بن سعد (ت175هـ)، إمام مصر ومحدثها في القرن الثاني الهجري. تلقى الحديث عن شيوخه في مصر، مثل يزيد بن أبي حبيب، وجعفر بن ربيعة وغيرهما، ومن غير المصريين أمثال نافع المدني، وعطاء بن أبي رباح وابن شهاب الزهري.

أما في الفقه فقد كان إماما مجتهدا، وكان من أصوله: العمل بالحديث ولو عارضه عمل أهل المدينة خلافاً للإمام مالك، وقد كان بينهما تراسل، وحوار فقهي حول هذه المسألة.

قال عنه ابن سعد: (وَكَانَ ثِقَّةً، كَثِيرَ الْحَدِيثِ صَحِيحَهُ، وَكَانَ قَدْ اسْتَقْلَّ بِالْفُتُوَى فِي زَمَانِهِ بِمِصْرَ).<sup>3</sup> وقال ابن وهب: «لولا مالك والليث لضل الناس». وروى الحافظ أبو نعيم بسنده عن الإمام الشافعي أنه كان يقول: (الليث بن سعد أتبع للأثر من مالك بن أنس)<sup>4</sup>، وفي بعض الروايات عنه: (الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به). أي لم يدونوا مذهبه، فتعرض للانحثار.

### مذهب الأوزاعي في الشام

مؤسس هذا المذهب هو عبد الرحمن الأوزاعي (ت157هـ)، فقيه وإمام أهل الشام. جاء في كتاب سير أعلام النبلاء أن الإمام عبد الرحمن الأوزاعي أسس مذهبا مستقلا عمل به فقهاء الشام وفقهاء الأندلس ثم فني بعد 220 عاما من ظهوره. وكان أول مذهب أهل الأندلس، وأهل المغرب قبل دخول المذهب المالكي إليها. وذكره كذلك ابن تيمية، فقال: (وَالأَوْزَاعِي إِمَامٌ أَهْلِ الشَّامِ وَمَا زَالُوا عَلَى مَذْهَبِهِ إِلَى الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ؛ بَلْ أَهْلُ الْمَغْرِبِ كَانُوا عَلَى مَذْهَبِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِمْ مَذْهَبُ مَالِكٍ).<sup>5</sup>

<sup>3</sup> - الطبقات الكبرى لابن سعد، 617/7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: 1968م

<sup>4</sup> - حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، 319/7

<sup>5</sup> - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج23، ص: 398

بنى الأوزاعي مذهبه على الأخذ بتفسير السنة للقرآن، والترجيح بالرأي، والقياس، وسد الذرائع؛ غير أن مذهبه لم يعمر طويلاً، وإن كانت آراؤه الفقهية لا زالت مضمنة في كتب الفقه الإسلامي.

### مذهب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري:

من أهل طبرستان (شمال إيران)، كان حافظاً للقرآن عالماً بالقراءات، له كتاب مشهور في التاريخ، وكتاب في التفسير، وكتب أخرى كثيرة، كان ابن خزيمة يقول: «لا أعلم أحداً على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير». تفقه في بداية أمره على مذهب الشافعي، ثم أخذ الفقه الحنفي عن أبي مقاتل، ودرس المذهب المالكي في مصر على يدي أبناء عبد الله بن عبد الحكم، تلاميذ ابن وهب صاحب الإمام مالك وتلميذه، ثم تلقى الفقه الظاهري على يد شيخه داوود بن علي الأصبهاني، ثم استقل بمذهبه الخاص في الفقه والاجتهاد، وتوفي رحمه الله سنة 310هـ.

### مذهب ابن أبي ليلى في الكوفة:

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، تابعي جليل، روى الحديث عن عامر الشعبي، ونافع مولى ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وغيرهم. وأخذ عنه الحديث: شعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح، وغيرهم. إلا أن علماء الجرح والتعديل يضعفون روايته للحديث بسبب سوء حفظه مقارنة مع براعته وقوته في الفقه. فقد قال عنه الإمام أحمد بن حنبل عنه: (كان سيئ الحفظ، مضطرب الحديث، وكان فقهه أحب إلينا من حديثه).

كان في الفقه إماماً مجتهداً، قال عنه القاضي أبو يوسف: (ما ولي القضاء أحد أفقه في دين الله، ولا أقرأ لكتاب الله، ولا أقول حقاً بالله، ولا أعف عن الأموال من ابن أبي ليلى)، وكان معاصراً لأبي حنيفة، وسبقه في الإفتاء بالرأي، وكان بينهما نقد وتخطئة في أحكامهما في المسائل الفقهية، وقد اهتم معاصروهما بجمع تلك المسائل للانتفاع والمقارنة بين آرائهما؛ كأبي يوسف

القاضي الذي جمع كتابًا بعنوان "اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى" ونقل الشافعي هذا الكتاب في كتابه: "الأم"

أما عن منهجه الفقهي، فقد اعتمد ابن أبي ليلى كغيره من الفقهاء على ما صحّ عنده من الأحاديث، إلا أنه يحسب على فقهاء الرأي لكثرة اجتهاده في المسائل، وإجراء القياس عليها .

وتولى قضاء الكوفة في عهد الأمويين والعباسيين واستمر فيه ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي سنة 148هـ.

### مذهب عبد الله ابن شبرمة في الكوفة:

عبد الله ابن شبرمة الكوفي القاضي الحكيم، يُكنى بأبي شبرمة، كان فقيها كبيرا، وكان الثوري إذا قيل له من يفتيكم؟ قال: " ابن أبي ليلى وابن شبرمة " وذكره أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء في الطبقة الثالثة من فقهاء التابعين بالكوفة، فقال: " أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة: ولد سنة اثنتين وسبعين من الهجرة، وتفقه بالشعبي، ومات سنة أربع وأربعين ومائة(144هـ). قال حماد بن زيد: ما رأيت كوفياً أفقه من ابن شبرمة " <sup>6</sup>

6 - طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي، ص:84، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد، بيروت، الطبعة الأولى:1970م